يذكر ابن سنان ـ كغيره من علماء البلاغة ـ أن معرفة الفصاحة واجبة لمعرفة بلاغة القرآن، ولمعرفة نظم الكلام ونقده. ولكنه يفرّق بين لفظي الفصاحة والبلاغة ؛ فالفصاحة عنده خاصة بالألفاظ ، وأما البلاغة فهي للألفاظ مشتملةً على المعاني، ولا شك أن هذا التفريق بين معنى اللفظين كان ذا أثر في دراسات البلاغيين الذين جاؤوا بعد ابن سنان ، وأخذ كثير منهم في ذلك برأيه .

وتعرّض ابن سنان ـ لأول مرة في الدراسات البلاغية ـ لموضوع الأصوات ، ذلك أن طبيعة بحثه في الفصاحة ، وهي عنده كما رأينا وصف للفظ مجرداً عن المعنى ، دعته إلى التعمق في دراسة اللفظ من حيث هو أصوات مركّبة ، فبحث في أحكام الأصوات ومخارجها وصفاتها بحثاً جيداً ، اعتمد فيه على من تناوله من قبله من علماء اللغة والتجويد.

وتعرّض ابن سنان في كتابه لكثير من قضايا النقد وآراء النقاد في الشعر والشعراء ، وأقوالهم في القدماء والمحدثين ، كما عرض في أثناء ذلك كثيراً من الفنون البلاغية، وناقش أقوال من تقدمه فيها كقدامة والآمدي والجرجاني ، ووازن بين أقوالهم ،وفاضل بين مصطلحاتهم، وكان في كل ذلك عالماً متميز الرأي واضح الشخصية .